القضايا القومية في الشّعر الليبـــي الحـــرّ قضية فلسطين أنموذجاً

د.عفاف محمّد عليّ الخـــــراز *
قسم اللّغة العربيّة ، كلية التّربيـــة قصر بن غشير ، جامعة طرابلس
Af.alkharraz@uot.edu.ly
تاريخ الارسال 2025/8/4م تاريخ القبول 2025/9/9م

National Issues in Free Libyan Poetry: The Case of Palestine as a Model

Afaf Muhammad Ali Al-Kharrāz

Summary

The Palestinian cause is a central issue in Arab nationalist thought, especially since the establishment of Israel in the heart of the Arab world, following Western colonial conspiracies, created a deep rift in the Arab conscience, followed by a wave of frustration and despair. The colonial aim in planting this alien entity was to sow discord within the Arab world, squander its potential, and prevent it from achieving its desired national project.

We find that Arabic poetry kept pace with the Nakba of Palestine and recognized its gravity for the future of the Arab nation. It attempted to trace and condemn the stages of Judaization, encouraged resistance, and rejected surrender. Free verse poetry was no exception to these nationalist demands, as its themes were replete with the Palestinian cause as a matter of national identity and destiny.

Palestine will remain a central issue in the hearts of free people, and no right will be lost as long as there are those who demand it. No matter how long the occupation lasts, the will and steadfastness are stronger, and justice will inevitably prevail in the end.

الملخص:

قضية فلسطين من القضايا المركزية في الفكر القومي العربي ، خصوصا أن زرع إسرائيل في قلب الوطن العربي، عقب مؤامرات استعمارية غربية ، شكل تصدعاً عميقاً في الوجدان العربي، وأعقبته موجة من الإحباط واليأس، وكان هدف الاستعمار

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

من زرع هذا الكيان الدخيل إشاعة التفرقة في الوطن العربي، وهدر إمكاناته، ومنعه من تحقيق مشروعه القومي المنشود.

نجد أن الشعر العربي واكب نكبة فلسطين وأدرك مدى خطورتها على مستقبل الأمة العربية ، وحاول تتبع مراحل التهويد وأدانها، وشجع على النضال ، ونبذ الاستسلام ولم يكن الشعر الحر ليحيد عن هذه المطالب القومية ، حيث حفلت مضامينه بالقضية الفلسطينية باعتبارها قضية ذات ومصير أمة .

ستبقى فلسطين قضية مركزية في [illegible]ن يضيع حق وراءه مطالب ، فمهما طال الاحتلال ، فإن الإرادة والصمود أقوى ، والعدل لابد أن ينتصر في النهاية

المقدمـــــة:

الحمد لله حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أن بعث فينا رسولاً منا يدعونا إلى دين الحق، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين محمد بن عبد الله الأمي الهاشمي وعلى آلة وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين

وبعد:

فلسطين أرض الأنبياء والشهداء والمقاومة والصمود، والصراع المستمر بين الحق والباطل ، يتربع في قلب الشرق الأوسط. و يمتد معه صراع الاحتلال الإسرائيلي منذ أكثر من سبعين عاماً ، وتشتهر فلسطين بتاريخها ، وتعدد الثقافات التي عاشت فيها وتحدثنا في هذا البحث عن قضية فلسطين فهي قضية أمة بأكملها وليست قضية الفلسطينيين وحدهم قال - تعالى- : (**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً**) سورة الإسراء الآية 4

وعلى الرغم من أن الساحة الليبية قدمت عدداً من الشعراء الذين التزموا بالقضايا القومية ودافعوا عنها فإننا لا نكاد نجد لشعراء هذه الساحة وجوداً يذكر في الدراسات العربية وما زالت ظاهرة الشعر الحر في ليبيا شبه مجهولة لكثير من الباحثين العرب، وربما لليبيين أنفسهم.

الهدف الأساسي للشعر الليبي حول القضية الفلسطينية هو تأكيد عروبة فلسطين ووحدة المصير ، وتوجيه النقد للعالم العربي ، ودعم المقاومة الفلسطينية معنويا عبر النضال الإنساني والثقافي .

يعتبر الشعر أداة لنقل تجربة الشعب الفلسطيني ، وإبراز صموده ، ورفضه الظلم، ولذلك فهو يمثل سلاحاً للنضال وأيقونة للهوية الفلسطينية في الأدب الليبي .
وتعد القضية الفلسطينية من أبرز القضايا العربية والإسلامية التي مازالت حية في ضمير الشعوب ، فهي تمثل رمزا للظلم التاريخي والاحتلال المستمر الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني منذ أكثر من قرن .
بدأت معاناة الشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور عام 1917 حين تم منح اليهود حق إقامة وطن لهم في فلسطين دون أي اعتبار لحقوق السكان الأصليين ، وتفاقم الوضع مع نكبة عام 1948 التي تم فيها تهجير مئات الالاف من الفلسطينيين واحتلال أراضيهم ، ورغم الاحتلال والمجازر والحصار والانتهاكات المستمرة ، لم يفقد الشعب الفلسطيني عزيمته ، بل أستمر في مقاومته بشتى الطرق ، متمسكاً بحقه في العودة وتقرير مصيره وتمثل القدس رمزاً دينياً وتاريخياً وسياسياً بالغ الأهمية ، مما جعل القضية الفلسطينية ليست فقط قضية شعب ، بل قضية امة كاملة تدافع عن مقدساتها وكرامتها

الأهداف الرئيسية: -

1- التضامن والقومية: يُعد الفلسطيني قضية قومية مشتركة ، ويعبر الشعراء الليبيون عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني .
2- توثيق القضية: يقوم الشعر الليبي بتوثيق الاحداث والمشاعر المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، ويسهم في بناء ذاكرة جماعية مشتركة .
3- تأكيد الوحدة: يؤكد على عروبة فلسطين وأنها قضية قومية تمس كل العرب ، مما يعكس عمق الوعي العربي في ليبيا تجاه القضية .
4- نقد التقصير: يوجه النقد للامة العربية بسبب تقصيرها في الدفاع عن فلسطين ، ويسير إلى مسؤولية النخبة المثقفة في نقل هذه الهموم .
5- دعم المقاومة : يعتبر الشعر سلاحاً للنضال ، ويعكس روح المقاومة لدى الشعب الفلسطيني ، ويسهم في إبراز صموده ورفضه للاحتلال ، ويدعو إلى التحرير .
6- التعبير عن الإنسانية : يصور المعاناة الإنسانية للشعب الفلسطيني ويبرز ثقافتهم وتقاليدهم ، مؤكداً على أنهم جزء لا يتجزأ من الإنسانية .
7- التوثيق التاريخي : في بعض الأحيان ، يستخدم الشعر الشعبي الليبي لتسجيل الأحداث التاريخية المتعلقة بالمقاومة في ليبيا ضد الاحتلال ، مما يعكس دور الكلمة في حفظ التاريخ .

ارتبطت حركة الشعر الحر في ليبيا بالمد القومي العربي الذي شهدته المنطقة العربية بعد قيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو سنة 1952م وكان لهذا المد أثره في انبثاق الحركة ونموها وفي اهتمامها بقضايا التحرر الوطني والقومي والعالمي.

ويمكن أن نلمس قوة هذا التأثير في عدد القصائد القومية التي ظهرت في أول ديوانين صدرا بعد الاستقلال وهما ديوان الحنين الظامئ (الرقيعي، 1979، ص 73) الذي احتوى على ثماني قصائد قومية وديوان أحلام وثورة (صدقي : 1957 ص 20) الذي أحتوى عشر قصائد)

وعلى الرغم من أن معظم تلك القصائد قد كتبت على الشكل التقليدي إلا أنها كانت تشير إلى تعاظم اهتمام الشعراء بالقضايا القومية و ارتباطهم بمضمونها الفكري والسياسي وأثر ذلك في تطور الشكل الفني الذي اتخذوه للتعبير عن المضامين الجديدة المرتبطة بالتحرر من السيطرة الأجنبية ومن القوى الرجعية وتحقيق مجمع عربي حر موحد ينعم بالرخاء والعدالة الاجتماعية . وقد شكل الاتجاه القومي في ليبيا تيارا قويا شارك فيه الشعراء الذين كتبوا الشعر الحر وصارت القضايا القومية تشكل هماً من همومهم وقضية مصيرية يلتزمون بها، ويدافعون عنها ولهذا انصرفت اهتمامات الشاعر الليبي لمشاكل الإنسان العربي سواء في ليبيا أو في المغرب العربي أو في العالم العربي وربطها بالقضايا الإنسانية وأصبحت قضية فلسطين بالذات قضيته الأولى تستهدف كل إنتاجه (السائح، و196 ، ص 42).

وازدادها التيار عمقاً وترسخاً بعد قيام الثورة سنة 1969م والتي اعتبرت نفسها امتداداً لثورة الثالث والعشرين من يوليو عمقا استراتيجياً لها، ورافداً من روافدها القومية ، فعملت على تحقيق الوحدة العربية من خلال الاتفاقيات الوحدوية مع عدد من الأقطار العربية، كما عملت على تأييد ودعم الكفاح المسلح للشعب الفلسطيني، وتصعيد الصراع مع القوى الإمبريالية الغربية، والعدو الصهيوني.

وقد عبر الشعراء في ليبيا عن القضايا القومية من منطلق إيمانهم بالوحدة العربية، ووحدة الكفاح العربي والمصير العربي، وبذات تختفي مع بداية السبعينات - الاتجاهات الوطنية لتذوب في اتجاه واحد هو الاتجاه القومي ، يقول حسن السائح " فالظاهرة البارزة تبدو في أن الشعراء الليبيين يلتزمون في إطار قضية العروبة والوحدة جاهدين في إنماء تجربتهم وتعميقها في البحث عن خلق نموذج للإنسان العربي حتى أصبحت لكلماتهم جميعاً أبعادها اللغوية المتشابهة ولتعابيرهم موسيقى تسع مضموناً متعاطفاً مع البيئة الكبرى للعروبة" (السائح، 1969، ص 46)

ستتناول في هذا البحث الموجز قضية مركزية من أهم قضايا الأمة العربية "قضية فلسطين" ، يتفق أغلب المحللين السياسيين على أن قضية فلسطين هي القضية المركزية الأمة العربية ، وأن زرع إسرائيل في قلب الوطن العربي كان مؤامرة استعمارية مدبرة تستهدف إضعاف الأمة وبعثرة إمكاناتها ومنعها من تحقيق وحدتها القومية وحصرها في دائرة التخلف والتمزق .

وليست محاولات السّلام - مهما كانت الظروف التي تحيط بها - إلا فرضا للأمر الواقع، وتسفيها للتضحيات التي بذلتها الأمة، ومؤامرة من الدول الاستعمارية للإبقاء على نفوذها والاستمرار في السيطرة على منابع النفط في الوطن العربي، فالخطر سيطل قائماً لأن الصراع العربي الإسرائيلي صراع وجود وليس صراع حدود

إن القمع الذي مارسته وتمارسه الصهيونية والإمبريالية على الأمة العربية لفرض الأمر الواقع بالقوة لن يفقد الإنسان العربي ذاكرته التاريخية وسيظل الإحساس بمرارة الظلم التاريخي الذي لحق به في هذه المرحلة الهزيلة من تاريخه يذكي فتيل الثورة في نفسه ويستفد مشاعره المهانة مهما بلغ الطغيان من ضراوة و الإرهاب من شراسة ، وقد سجّل الشاعر العربي الحديث ما طفح به الوجدان العربي من معاناة القهر ومحاولات الصهيونية لتفريغ الأرض العربية من سكانها، وتفريغ ذاكرة العربية من تاريخها، وقد صور الشعراء في ليبيا شأنهم شأن الشعراء العرب - فصول مأساة الاغتصاب الصهيوني لفلسطين العربية ورفعوا صوتهم بالاحتجاج والرفض ضد التهويد والاستسلام .

يقول علي جعفر العلاقي :" لم يكن اغتصاب فلسطين - إذن - إنتهاكاً مجردا للجغرافية أو عدواناً عابراً عليها بل هي بالنسبة للشاعر العربي، عدوان على حريته وتماسكه وبهجته الإنسانية ولذا كان هذا الشاعر يتماهى مع عناصر الموضوع الفلسطيني ليتكلم عن فجيعته هو في وطنه هنا أو هناك ويقول : " لهذا وجد الشعراء العرب في الموضوع الفلسطيني باستمرار ميدانا خصباً يرون عبر مرآته الدامية شقاءهم الشخصي وحقهم بالحرية والتجديد (العلاقي 1991 ،ص 4) ، تظهر النزعة القومية جلية في الشعر الليبي عبر التجاوب العميق الذي جسده الشعراء مع مختلف الأحداث والوقائع التي عاشتها أقطار الوطن العربي ، " وهكذا فإن مثل هذه المستجدات في الساحة العربية قد أصبحت من العوامل المنعشة للطموحات العربية ، فما زاد إيمان الشاعر بأن ليبيا ليست شجرة شيطانية نبتت في غفلة من التاريخ، بل هي جذع قوي

في سنديانة العروبة الوارقة الظلال، ومن هذا المنطلق نبتت أشجاره وهي مروية بماء وادي النيل وبردى، ودجلة والفرات ، ومجردة "(الكيب، ط1، 1987،ص 5)

إنّ إيمان الشاعر الليبي ينطلق من مفهوم قومي راسخ ، وهو - كما يبدو- شاعر يستشعر قيمة الانتماء إلى الفضاء العربي الرحيب الذي يمتد من المحيط الى الخليج ، كما تحفه هوية واحدة لتأسس من خلال تاريخ وتراث وافة واحدة، ولعل التساوي في الحقوق والتبادل في الود، والتعاون عند العمل، والتراحم عند النوازل والتواصل عند الحاجة، والذود عن وطن واحد، وعن قومية واحدة هو الذي دفع بشعراء ليبيا إلى مشاركة أبناء شقيقاتها العربيات والتضامن معهم في آلامهم حتى يكونوا جسماً واحداً له نفس واحدة ، وقوة واحدة تتجه إلى غرض واحد وتذود عن وطن واحد ولم يكن حدوث كل هذا إلا رابطة العروبة، رابطة الإحساس بوجود شقيقات عربيات تعاني آلاما قاسى منها الشعب الليبي الأمرين (الكيب ، جذور القومية العربية سنة

هكذا فكل ما وقع في الوطن العربي الكبير من أحداث إلا وقف لها الشاعر الليبي راصدا ومتضامناً . فقد صور الشاعر الليبي مأساة فلسطين تصويراً عميقاً ، فلا يكاد يخلو منها ديوان من دواوين الشعر الحديث، وقد احتلت قضية فلسطين في قلوب ووجدان الشعراء الليبيين مكانة واضحة إلى درجة أن بعضهم ألف فيها ديواناً شعرياً كاملاً يعرف بالفلسطينيات

ولعلّ أول ما صدم مشاعر الشّاعر العربي وأشعره بفداحة المأساة العربية في فلسطين، كانت قضية اللاجئين الذين شردوا من أرضهم بطريقة وحشية كشفت فيها العنصرية الصهيونية عن سلوكها البربري، مثلما تجلت فيها الفجيعة في حقيقة الضمير الدولي الذي تآمر علي الحق وأقر الباطل وفي قصيدة " خواطر لاجئ" ، التي كتبها خالد زغبية سنة 1958 يصور الشاعر العالم الداخلي للاجئ فلسطيني يعاني ذل التشرد

ومأساة الاغتصاب ، يجوب العالم غريبا بلا أهل ولا وطن ولا مأوى تطارده ذكريات الوطن ويعذبه الحنين، ويشقيه واقع قاس يدوسه بلا رحمة، فيظل مشغولاً بهموم الماضي، ومعاناه الحاضر والتطلع إلى حلم غائم بالعودة يغذيه بشعاع من الأمل البائس ويتشبث به حتى يظل على قيد الحياة.

يقول خالد زغبية على لسانه :

أهيم على كل درب ,, وفي كل حين
أمرغ في الوحل طهر الجبين

وأدفن وجهي الحزين
وأخنق في النفس همس الحنين
وذكرى السنين
لأجلك يا فتنتي
حملت المتاع
هجرت المغاني
مغاني الطفولة -- ملهى الشباب
وأرغمت غدراً لهجر الربوع
بدون وداع
لأجلك أغدوا أجوب البقاع
أنقب عن ملجأ للصغار
يذود الصقيع
وأغدوا طوال النهار
أفتش عن الخرائب
أعدو وراء الظلال
وأطرق باب المحال
لعلي أفوز
بما قد يسد الرمق
ويا فتنتي لا أطيق
أراك " لصهيون " نبعا فوق
وحقلاً وزيف الظلال ، عميم النعيم (زغبية، سنة 1968 ، ص 57)

وتظل قضية اللاجئين وحلم العودة المحور الأساسي الذي تدور حوله القصائد المبكرة، حيث تعنى بتأكيد التصاق اللاجئ بأرضه عن طريق التذكر لنباتات أرضه أو لأشيائه الصغيرة الخاصة أو استعادة الذكريات المختلفة التي تربطه بالأهل أو بالأرض . وفي قصيدة الرسالة إلى مؤتمر القمة العربي ، الذي انعقد سنة 1964 في الإسكندرية نلاحظ عناية الشاعر علي صدقي عبد القادر بإحصاء هذه الأشياء الصغيرة التي تتوهج في ذاكرة أخته التي يوجه رسالة باسمها إلى مؤتمر القمة العربي يقول :

وتسألكم بنت أمي ، عن الدرب ، عن بيتنا
وراد التخوم
فهل لا تزال به الدالية

وقفص الحمام
وعن قطة البيت، تدعى سعيدة
وعن ساعة بالجدار يدق
وتذكر وقع خطا الصبية اللاعبين
على بابنا الأخضر
ودقات جارتنا خلف حائطنا المشترك
تريد إناء وملح ، وعود ثقاب.
وتذكر كل (فلسطين) ، حتى الأزقة
وحتى مصابيحها الراعفة
وتطلب شق الطريق (صدقي ، سنة 1985 ، ص 198)

إن الشاعر علي صدقي عبد القادر وكذلك خالد زغبية في قصيدته خواطر لاجئ إنما يريد بإيراد التفاصيل الدقيقة أن يجعل ذاكرة الفلسطيني مفتوحة على أرضه وتاريخه باعتبارها رد الفعل المجابة لطمس الهوية العربية الفلسطينية عن طريق التشريد والاعتقال في المخيمات لتصبح نسيا منسياً ، فقد كان على الإنسان الفلسطيني الذي تقاذفته الغربة والشتات، واحتجزته المخيمات والمعتقلات أن يوكد هويته الوطنية ليؤكد وجوده الذي أنكره عليه العالم حين استبدال كيانه الوطني بكيان آخر دخيل، لقد داسه العالم وأنكر حقه في أن يعيش على أرضه حراً كريماً وتجاهل وجوده، وكان (سرحان) رمزاً للإنسان الفلسطيني الذي يئس من يقظة ضمير العالم بالحوار فأيقظه بالرصاص :

هل قرأتم مرة فوق جريدة
أو على خارطة اسم فلسطين " بلادي " ؟؟
ويجيبون بنفي ساخرين.
إننا نعرف (إسرائيل) من أنت تكون ؟؟
ويدوسون عليه
وهو يصرخ :
ارفعوا أقدامكم عني ، لماذا لا أعيش ؟؟
أنا إنسان ولي أرض ترجى عودتي
ارفعوها ولماذا تقتلون
ارفعوا أقدامكم ، اني اختنقت
نفسي ضاق ، اختنقت اختنقت (صدقي ، سنة 1985، ص 51)

لقد أوصلت أمريكا وإنكارها لحق الشعب الفلسطيني في أرضه إلى أن يقتل سرحان المواطن الفلسطيني المقهور الرئيس الأمريكي «كندى» باعتباره رمز للقهر والظلم ولذلك فإن (علي صدقي عبد القادر) يبرئ سرحان، من تهمة القتل ويعطيه الحق في استخدام العنف الثوري ضد من أنكروا وجوده ، وأضفوا الشرعية على من سلب حقه، ويسخر الشاعر من محاكمة " سرحان " لأن المتهم الفعلي هو الظلم الأمريكي الذي دفع بالشعب الفلسطيني إلى حافة اليأس ، فلم يعد إلا القتل ليس انتقاماً من العالم فقط، وإنما إثبات لوجوده ، وجدارته في الحياة ودفاعاً عن حقه . (الحسين بيروت ، ص 147)

وأقاموا محكمة
يا قضاته
حاكموا ظلم (أمريكا)
إنه القاتل ، لا (سرحان) ، (سرحان) بري
يا قضاته
اخلعوا ثوب القضاء
وتنحوا إنكم متهمون
حاكموا أنفسكم من قبله ، لا تظلموه
حاكموا ظلم (أمريكا)
إنه القاتل لا (سرحان) ، (سرحان) بري
وبري، وبري (صدقي ، 1985 ، ص 56)

لقد اتخذت الصهيونية منذ أن أحتلت فلسطين الإرهاب أسلوباً لإجبار الفلسطينيين على مغادرة أراضيهم وبيوتهم ليعيشوا في الغربة والمنافي لاجئين ، أما الذين تمسكوا بالبقاء في وطنهم فقد دفعت بهم في غرف التعذيب لينالوا حصصهم من السياط النازلة في ظهورهم ، وألآم الكي بالطرق الحديثة ، أو يمطروا بوابل من الرصاص، ويقحموا في أعراس (الدم والشهادة) (الحسين ، مرجع سابق، بيروت، ص 147)، والإرهاب ليس مجرد وسيلة لتهجير العرب من أراضيهم ؛ وإنما يعبر - أيضا - عن نزعة انتقامية متأصلة في نفس اليهودي ضد الإنسان العربي يقول مناحن بيجن في كتابه الثورة : " لقد كان الإرهاب الطريق الوحيد الفعال لتأمين الأهداف القومية في فلسطين وقد أشبعت الأساليب الإرهابية رغبة جارفة مكبوتة عند اليهود للانتقام " (مجلة الفكر 1978م، ص 9)

وفي قصيدة " الشوارع المثقوبة الأذان " يصور على صدقي عبد القادر مأتما دمويـاً بشعاً يجسد فضائع اليهود وحقدهم الأسود، حين تمتلئ شوارع القدس والخليل بـالقتلى والجرحـى والـدماء ويزحـف الرعـب علـى كـل بيـت يدخلـه جنـود الاحـتلال يقتلـون وينسفون ويطردون ويطلقون كلابهم تلعق دماء الجرحى والقتلـى فـي قسـوة ووحشـية تذكرنا بفظائع الحرس . المدني الإسباني في قصائد لوركا . (البطوطي 1993ص 83)

إنها لعبة الدم التي يمارسها الصهاينة بتلـذذ واسـتمتاع ضـد الشـعب الفلسـطيني علـى مرأى ومسمع من الأمم المتحدة و ميثاق حقوق الإنسان :

الليل يمضي ، والكلاب تلعق الدماء
والرعب يجلد الزقاق في الظلام
وأعين النساء ، في ثقوب الباب تنتظر
و(الأمم المتحدة)
تهز ذيل (إسرائيل) عابثة
بلا اكتراث
لأن لعبة (اليهود) بالدماء لم تتم (صدقي ، 1985 ، ص 847)

ويدين عبد المجيد القمـودي خطابات الاحتجاج النازية الجوفاء ، التي يلقيها مندوبو الدول العربية في أروقة الأمم المتحدة ، و يدين كذلك ادعاءات الدعوة إلى السلام التـي يروج لها مجلس الأمن، بينما تستمر إسرائيل فـي تنفيـذ جرائمهـا الوحشـية ضـد أبنـاء الشعب الفلسطيني ، مستخفة بالقيم الإنسانية والأعراف الدوليـة، ويسـخر الشـاعر مـن الحكام العرب الذين ينشغلون عما يجري بالأمور الشخصية التافهة بالتنـافس فـي عقـد التحالفات وإبرام الصفقات مع الولايات المتحدة الأمريكية :

أصدقائي
بينما كانت (كراسي الأمم المتحدة)
كلها تهتز من أصوات صناع الكلام
بينما في المجلس الأمن دعاة السلام.
كانت النازية (الحمقاء في (يافا) و (حيفا)
تصنع الموت للأحياء السلام
تسكب البارود، في أمعاء أطفال لنا لم يبلغوا

سن الفطام
كانت (النازية) الحمقاء من (صهيون) والمرتزقة
تركت كل القرى محترقة
عندها يا أصدقائي
كان في الشرق انقسام
كان (حكامي) أذيال اليهود
حول أجهزة (البريد)
هنأوا بعضهم و بعضا " بأحلاف " جديدة
و " بصفقات جديدة
حقق " الدولار فيها
باسم ما يدعي (صداقات) وجوده (القمودي 1982 ، ص 159-160)

والقمودي شاعـــر غاضب ثائر فقد الثقة في الأمم المتحدة وفي الحكام العرب، وفـي ثرثرة الخطباء، لذلك فهو يدعو إلى حمل السلاح وإلى قتال العدو لأنه الطريق الوحيد إلى تحرير فلسطين ، أما غير ذلك فليس سوى طريق للخيانة يقول :

قد تكلمنا كثيراً، كثيراً .
يا أحبائي -- ولكن –
منطق (الرشاش) أعظم
وطريق الزحف للتحرير أسلم .
كل شيء
صاح من أعلى المآذن
كل من لم يحمل (الرشاش) خائن (القمودي 1982، ص 159 - 160)

يقــول محمود درويش مؤكداً أهمية الفعل الثوري المقاتل لتغيير الواقع الفلسطيني الموزع بين الاغتراب والنفي " إن النفي ليس حلاً للاغتراب، وإن الاغتراب ليس حلاً للنفي ، لا بد أن يكون هناك بديل ثالث وهو الممارسة الثورية والاشتراك بعملية ثورية تبدّل الواقع الذي خلق الاغتراب وخلق المنفي معاً (صحيفة المحرر البيروتية 22 شباط، 1973 ، ص 41)، وكانت انطلاقة العاصفة ، بعد هزيمة يونيه 1967 ثورة على الهزيمة وثورة علـى الواقـع العربـي الراكـد وعلـى الأسـاليب المتخلفـة التـي عولجـت بهـا القضـية الفلسطينية عبر عشرين سنة

يقول علي جعفر العلاقي : كانت المقاومة فاتحه لعهد جديد لا يعود فيه الفلسطيني ضائعاً في الريح مبعثراً دونما أفق يلمه بل صار مقاتلاً يبحث لا عن حياة يستحقها فقط بل موت يليق به أيضاً ، صار الموت الفلسطيني بما يحفل به من بطولة تراجيدية طريقاً إلى حياة أكثر حرية وعمقاً، ومن تلاحم الموت والحياة، في صفيرة فلسطينية واحدة ولدت مرحلة أخرى تطفح حتى حافاتها الأخيرة بالحنين والبطولة والتوتر (العلاقي ، الفصول الأربعة (1991 ، ص 41) ، ويضيف ولذلك اندفع الشعر مثله مثل الشعر العربي عامة إلى احتضان هذه الصورة الجديدة صورة الفلسطيني العاصف الذي يختار موته أو حياته لا فرق بجسارة أسطورية الفلسطيني الذي يتكئ على دمه المتجهم وهو ينسل إلى فلسطين منتشراً كالهواء (العلاقي ، 1991 ، ص 41) ،
يقول أبو القاسم أبودية :

قد تركناه هراء الخطباء
ورجاء الأولياء
وصراخ الهاتفين
وقصيد الشعراء
إنما الدرب الذي تسلكه
إنه درب الفداء (أبودية 1971، ص 76)

ثم يخاطب الشاعر فلسطين معتزاً ومبشراً بالجيل الجديد الذي عرف طريق الخلاص وعقد العزم على التضحية ذلك أن الثورة الحقيقية لا تولد إلا بجيل من الضحايا الثورية الواعية التي تعرف كيف تستولد الفجر من ركام الظلام :
يا فلسطين الحبيبة

ها هم جيل الفداء و جيل الخلاص.
عقدوا العزم الأكيد
أن يعيشوا أو يموتوا
فوق أرضك
ومحال أن تضيعي
وهم قد عقدوا العزم الأكيد
وغدا ينبلج الفجر السعيد (أبودية 1971 ص 76)

إن الجيل الذي أطلق الرصاصة الأولى ليبدد ليل الصمت ويبشر بانبلاج الفجر هو الجيل الذي تربى على يديه جيل الغضب الذي فجر الانتفاضة في الأراضي المحتلة

وقد كانت الانتفاضة وما زالت تؤكد يوماً بعد يوم أن الشعب الفلسطيني قد عرف أن الطريق إلى العودة هو استمرار المقاومة في الداخل والخارج، وهي التي أكدت للعدو الصهيوني أن الشعب الفلسطيني موجود وأنه سيواصل الثورة جيلاً بعد جيل وفي قصيدة " قبل القبل يبارك السنوسي حبيب الهوني انتفاضة جيل الغضب ويحرضهم على استمرار الانتفاضة؛ لأنها بزخمها الشاب قادرة على إخصاب الحياة ونمو بذور الأمل :

أصدقائي
باركوا الفعل ، وكونوا الزيت
والقنديل ، والجيل المخاطر
كونوا الدم الفوار، والإصرار
والجرح المصابر
فعلى انتفاضتكم، يشب القلب
تنبلج الدروب مشاتلاً تنمي بذار الحب
في الوطن المغمس في نزيف الجرح
تبتهج الصبايا السمر
تسكنها انفعالات التحول
هذا زمان الفعل يا جيل العطاء
الخصب والفعل المغامر (الهوني ، 1975 ، ص 67-68)

ويعطي على صدقي للعمل الفدائي بعداً إنسانياً ، باعتباره نضالاً من أجل اجتثاث الشر الذي يمثله الغول الإسرائيلي الذي يحترف قتل الحياة وإبادة الإنسان وامتصاص دماء الشعوب ولذلك فإن الشاعر يحرض الإنسان في أمريكا وأوروبا الذي خدعته المسكنة اليهودية، يحرضه على إعادة النظر في موقفة وسيكشف - عندئذ - أن يهوداً وراء الشرور التي لحقت به يقول :

خطوات فدائي الثورة
تدعو في الليل ، تنادي
يا إنسان القرن العشرين
الغول له سبعون فما
لم يبق جدار (بالقدس)
لم يمضغه
لم يبق حليب في ثدي
الا حرقة

قد طاف الغول على الأبواب
يصفي هل كان هنالك طفل ؟؟
كي يطفئ عينيه
هل باقي في بيت مصباح موقد ؟؟
كي يذبح فوق البحر المصباح .
،،،،،،
الغول قد احترف الصلب
صلب الإنسان بهذا القرن العشرين.
انظر يا أوروبي
يا أمريكي
في جسمك.
تبصر مسمار الصلب على قلبك
في كفك ، في قدمك
انظر من يضرب مسمار الصلب
فيهوذا الغول هو الضارب (صدقي ، 1985 ، ص 739)

لقد عملت الصهيونية على تزوير التاريخ حين اتبعت أسلوب التهجير خارج الوطن للاستيلاء على الأرض العربية وتغيير خارطة فلسطين الجغرافية والبشرية ، ولذلك فقد أصبح التمسك بالأرض والبقاء فيها نوعاً من المقاومة لأنه صمود في وجه البربرية. الصهيونية وتمسك بالجذور ورفض الوجود الصهيوني وتشبث بالأمل الباقي ودفاع عنه، وتأكيداً بأن الأرض ستكون لأهلها وأن جحافل الغزاة ستمضي مهما طال الزمن إن علي صدقي عبد القادر يؤكد هذه المعاني حين يدعو إلى الصمود في الأرض والتمسك بها وإلى تأجيج الحقد ضد المحتلين :

أنا ها هنا
على جبهتي الدهر يحبو، ويمشي ، ويهرم
وأبقى ليولد دهر جديد
وتمضي قوافل كل الغزاة بباطن نعلي
وأبقى أنا ها هنا
لأني أنا صاحب الأرض أرضي أنا
أنا ها هنا
حشوت سلاحي بحقدي المقدس
لكي لا يمروا (صدقي ، 1985 ، ص 739)

إن الاختيار المناسب في مثل هذا الوضع لا يمكن إلا أن يكون مواجهه وصراعاً ، ولا شيء شيء آخر بإمكانه إعادة الحق لأصحابه ، وبهذا فالتضحيات واجبة وضرورية كما يقول على صدقي :

أأبكي وأكثر من مائة مليون من إخوتي ؟
بتربتنا أقسموا
على أن تعود ابنتي للوطن
لتغرس بالقدس فلة
لتنشد أغنية في أزقة (يافا)
لتطعيم بين يديها الحمام (صدقي ، 1985، ص 756)

احتجاج الشاعر على موقفه الباكي يعود إلى اعتبار أن قضية فلسطين التي وحدت العرب " تستولي على وجدان الشاعر، وتأخذه عبر أحداثها المتفجرة

إن شاعرنا يلاحق هذه الأحداث، وحضوره فيها يأخذ شكلاً متقدماً ؛ إذ يلتحم بها ساخنة فيجي شعره ، ممتعاً بغبارها المتطاير، مضرجاً بدمائها الحمر يحمل أشلاءها المتناثرة . (الكيب ، ط1، 1987، ص65)

ولا يقف شاعرنا على حدود البكاء؛ بل تظهر جلية طموحات وأحلام استعادة الحق العربي، وذلك لمشروعية القضية وعدالتها، ولأن مأساتنا وضعفنا ليسا إلا اندحاراً موقتاً سوف يزول مع الإصرار والصمود ولم يبق للفلسطيني سوى اجترار الذكريات الأليمة وذرف الدموع السخية على الوطن الذي سلب منه ، وعلى الديار التي غدت غنائم في قبضة الأعداء (الكيب ، 1987 ، ص 23 مرجع سابق)، وفي هذا السياق الشعري يعلن علي الرقيعي حربا ضروساً على الأعداء الصهاينة، فيقول : موطني إن لم نكن ناراً

وحرباً وذوياً
لست منى كنت في معناك في دوجك شيا
قُمْ وسُلْطَه عَلَى الأعداء طعناً عربياً (الرقيعي ، سنة ، ص 178)

إن صوت المدافع هو أعلى الأصوات في زماننا هذا، ولهذا جاء قول الشاعر مؤكداً قيمة الجهاد والمواجهة المباشرة لتحقيق الخلاص واستعادة الأرض الحبيبة ، وهكذا

نجد أن الشعراء الليبيين قد تابعوا القضية الفلسطينية في جميع المراحل التي مرت بها منذ أن كانت نكبة وقضية لاجئين إلى أن تطورت إلى ثورة مسلحة تشق طريقها نحو النصر بالدم والفداء .

الخاتمة :

تعتبر قضية فلسطين من القضايا المركزية في الفكر القومي العربي ، خصوصا أن زرع إسرائيل في قلب الوطن العربي، عقب مؤامرات استعمارية غربية ، شكل تصدعاً عميقاً في الوجدان العربي، وأعقبته موجة من الإحباط واليأس، وكان هدف الاستعمار من زرع هذا الكيان الدخيل إشاعة التفرقة في الوطن العربي، وهدر إمكاناته، ومنعه من تحقيق مشروعه القومي المنشود.

نجد أن الشعر العربي واكب نكبة فلسطين وأدرك مدى خطورتها على مستقبل الأمة العربية ، وحاول تتبع مراحل التهويد وأدانها، وشجع على النضال ، ونبذ الاستسلام ولم يكن الشعر الحر ليحيد عن هذه المطالب القومية ، حيث حفلت مضامينه بالقضية الفلسطينية باعتبارها قضية ذات ومصير أمة .

أما على المستوى القومي ، فقد استأثرت القضايا القومية باهتمام الشعراء بدءاً من قضية فلسطين وقد انعكست هذه القضايا في طرائق التعبير التي اتبعها الشعراء ، فمال شعرهم إلى الوضوح والبساطة والبعد عن الغموض .

وقد تطرقنا في هذا البحث إلى عرض نماذج من الشعر الحر للشعراء الليبيين عن فلسطين وكان للكلمة الملتزمة بالقضية دورها الفعال المتميز غير أن المعادلة الصعبة تبقى بيد المواطن في داخل فلسطين الذي يعاني من كل أنواع القهر والظلم.

ستبقى فلسطين قضية مركزية في قلوب الأحرار ، ولن يضيع حق وراءه مطالب ، فمهما طال الاحتلال ، فإن الإرادة والصمود أقوى ، والعدل لابد أن ينتصر في النهاية

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

قائمة المراجـــع والمصادر:

أولاً المراجع :

1. زغبية، خالد صور من الشعر الليبي المعاصر، وزارة الأعلام والثقافة، الإدارة العامة ، كتاب الشهر الخامس مطابع الجمهورية، طرابلس 1972
2. الحسن قصي ، الموت والحياة في شعر المقاومة ، دار الرائد العربي ، بيروت
3. البطوطي، ماهر لوركا شاعر الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993م
4. عبد المطلب، محمد، قراءات أسلوبية في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م

ثانياً : المصادر :

1. أبودية ، أبو القاسم ، وانفجر البركان، الطبعة الأولى اكتوبر 1971م
2. زغبية ، خالد، السور الكبير، وزارة الإعلام والثقافة إدارة الفنون والثقافة ، ط2، طرابلس ، ديسمبر 1968م
3. الهوني، السنوسى الحبيب، عن الحب والصحو والتجاوز، الطبعة الأولى بنغازي ، 1975م.
4. القمودي - عبد المجيد صالح ، قصائد بين يدي وطني ، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الثانية ، طرابلس 1982م
5. صدقي، علي عبد القادر، الأعمال الشعرية الكاملة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى ، طرابلس 1985م
6. الفزاني ، علي ، المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، مطابع الشركة العامة دار الحقيقة ، بنغازي ، سبتمبر 1975م
7. الرقيعي علي محمد الحنين الظامئ ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، طرابلس1979م

ثالثا : الدوريات والمجلات :

1. مجلة الفكر العدد 8 ، مايو 1977م.
2. العلاقي ، علي جعفر ، الفصول الأربعة العدد 45.
3. السائح الحسن، الرواد العدد 6 ، أبريل 1965.
4. صحيفة المحرر البيروتية 22 شباط 1973م